إن اهتمام سيبويه بالسماع «عمن يوثق بعربيتهم كثير، نجده واضحاً في «الكتاب» في مواضع كثيرة»[1]. وهذا يعني أن سيبويه ومثله سائر البصريين يتشددون في السماع تشددهم في القياس، فهم لا يأخذون إلا عمن يوثق بعربيتهم فصاحة وأصالة مبتعدين عمن لا يطمأن إليهم بسبب مخالطتهم غير العرب من الذين جاوروهم أو كانوا على مقربة منهم.

وكأن السيوطي قد لخص الأمر فقال: اتفقوا على أن البصريين أصح قياساً لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع، ولا يقيسون على الشاذ، والكوفيين أوسع رواية[2].

وقال: وينقل عن الأندلسي في شرح المفصل قوله: الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوّبوا عليه بخلاف البصريين.

قال: ومما افتخر به البصريون على الكوفيين أن قالوا: نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز وباعة الكواميخ[3].

وقال أبو البركات الأنباري: لا يُعلم أحد من علماء البصريين بالنحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة إلا أبا زيد فإنه روى عن المفضّل الضبي[4].

وجاء في «المزهر» للسيوطي: قال أبو حاتم: إذا فسّرت حروف القرآن المختلف فيها، وحكيت عن العرب شيئاً فإنما أحكيه عن الثقات

---

(١) الكتاب ١/٢٦، ٣٦، ١٥٣، ٣٧٩.

(٢) أخبار النحويين البصريين ص ٩٠.

(٣) المصدر السابق ص ٩٠، الاقتراح ص ١٠٠.

(٤) نزهة الألباء.